تعرض الأطفال للتركيبة الأفيونية في الرحم يزيد خطر اضطرابات النمو العصبي المزمنة

تأليف

مدرس الدكتور محمد لوتي

أبريل 24, 2026

اقتبس من هذا المقال

مدرس الدكتور محمد لوتي (2026). تعرض الأطفال للتركيبة الأفيونية في الرحم يزيد خطر اضطرابات النمو العصبي المزمنة. عرب سايكلوجي. تم الاسترجاع من https://arabpsychology.com/?p=121006

ARABPSYCHOLOGY.COM

هل يمكن أن يترك الألم الذي تشعر به الأم أثناء الحمل ندوبًا على عقل طفلها؟ هذا السؤال، الذي يتردد صداه في أروقة الطب النفسي وعلم الأعصاب، أصبح الآن أكثر إلحاحًا بفضل دراسة حديثة من كوريا الجنوبية. تكشف الدراسة، التي تتبع مسار أكثر من مليون ونصف طفل على مدى 13 عامًا، عن صلة مقلقة بين تعرض الجنين لمسكنات الأفيون خلال فترة الحمل وزيادة خطر الإصابة باضطرابات النمو العصبي طويلة الأمد. هذه ليست مجرد أرقام وإحصائيات؛ إنها قصص لأطفال يكافحون، وأسر تتأثر، ومستقبل قد يكون مختلفًا تمامًا.

الإطار النظري

لفهم أهمية هذه الدراسة، يجب أن نعود إلى بعض الأسس النفسية والعصبية. تعتمد عملية تطور الدماغ على سلسلة معقدة من الأحداث، بدءًا من تكوين الخلايا العصبية وحتى تشابكها وتخصصها. هذه العملية حساسة للغاية للتأثيرات البيئية، بما في ذلك التعرض للمواد الكيميائية. الأفيونات، وهي مواد قوية لتسكين الألم، يمكن أن تعبر المشيمة وتؤثر بشكل مباشر على نمو الدماغ الجنيني. من الناحية النفسية، يمكننا النظر إلى هذا من خلال عدسة نظرية التعلق (Attachment Theory) لجون بولبي. فالتعرض المبكر للمواد الأفيونية قد يعطل تطور أنظمة الدماغ المسؤولة عن تنظيم العواطف والسلوك الاجتماعي، مما يؤثر على قدرة الطفل على تكوين علاقات صحية في المستقبل. كما أن مفهوم "اللدونة العصبية" (Neuroplasticity) - قدرة الدماغ على إعادة تنظيم نفسه من خلال تكوين روابط عصبية جديدة ـ يلعب دورًا حاسمًا. التعرض للأفيونات قد يعيق هذه اللدونة، مما يجعل الدماغ أقل قدرة على التكيف مع التحديات.

الآليات العصبية المحتملة

على المستوى العصبي، يُعتقد أن الأفيونات تتداخل مع تطور مستقبلات الأفيون في الدماغ الجنيني. هذه المستقبلات ضرورية لتنظيم الألم، والمزاج، والوظائف الحيوية الأخرى. التعرض المبكر قد يؤدي إلى تغييرات في عدد هذه المستقبلات أو حساسيتها، مما يزيد من خطر الإصابة بمشاكل عصبية سلوكية في وقت لاحق من الحياة. بالإضافة إلى ذلك، قد تؤثر الأفيونات على تطور مناطق الدماغ المسؤولة عن الوظائف التنفيذية، مثل الانتباه، والتخطيط، واتخاذ القرارات.

منهجية البحث

قام الباحثون بقيادة تشوي إتش. آر. بتحليل بيانات من قاعدة بيانات التأمين الصحي الوطنية في كوريا الجنوبية، وهي مصدر بيانات ضخم يغطي جميع المواطنين. تضمنت الدراسة أكثر من 1.5 مليون مولود حي بين عامي 2011 و 2014، وتم تتبعهم حتى نهاية عام 2023. هذا يعني أن الباحثين تمكنوا من مراقبة الأطفال لمدة 13 عامًا على الأقل، وهو أمر بالغ الأهمية لفهم الآثار طويلة الأمد للتعرض للأفيونات. تم تصنيف استخدام الأفيونات لدى الأمهات خلال فترة الحمل حسب الفصل (الأول، الثاني، الثالث) ومدة الاستخدام (1–6 أيام أو 7 أيام أو أكثر). وللتغلب على مشكلة "السببية العكسية" ـ أي أن الأمهات اللاتي يعانين من مشاكل صحية نفسية أو ألم مزمن قد يكن أكثر عرضة لاستخدام الأفيونات ـ استخدم الباحثون تقنية "مطابقة درجة الميل" (Propensity Score Matching). تسمح هذه التقنية بمقارنة مجموعات من الأمهات اللاتي استخدمن الأفيونات مع مجموعات مماثلة لم تستخدمها، مع الأخذ في الاعتبار عوامل مثل التاريخ النفسي للأم والحالات الطبية المتعلقة بالألم. تم استخدام نماذج كوكس للتناسب (Cox proportional hazards models) لتقييم العلاقة بين التعرض للأفيونات وخطر الإصابة باضطرابات النمو العصبي.

ARABPSYCHOLOGY.COM

النتائج

أظهرت النتائج أن التعرض للأفيونات خلال فترة الحمل يرتبط بزيادة خطر الإصابة باضطرابات النمو العصبي بنسبة 14٪. كانت هذه الزيادة في المخاطر أكثر وضوحًا في حالات التعرض في الفصل الأول من الحمل ومدة الاستخدام الأطول (7 أيام أو أكثر). وبشكل خاص، وجد الباحثون أن التعرض للأفيونات يرتبط بزيادة كبيرة في خطر الإصابة بإعاقات ذهنية (بنسبة 33٪). هذه النتائج بقيت ثابتة حتى بعد الأخذ في الاعتبار عوامل الخلط المحتملة مثل التاريخ النفسي للأم والحالات الطبية المتعلقة بالألم. هذا يشير إلى أن العلاقة بين التعرض للأفيونات واضطرابات النمو العصبي ليست مجرد نتيجة ثانوية للمشاكل الصحية الأساسية للأم.

تأثيرات سريرية وعملية

هذه النتائج لها آثار عميقة على الأطباء والمرضى والجمهور. بالنسبة للأطباء، تؤكد الدراسة على أهمية توخي الحذر عند وصف الأفيونات للنساء الحوامل. يجب النظر في بدائل لتسكين الألم، وإذا كان استخدام الأفيونات ضروريًا، فيجب أن يكون ذلك بأقل جرعة ممكنة وأقصر مدة ممكنة. بالنسبة للمرضى، من المهم أن يكونوا على دراية بالمخاطر المحتملة للتعرض للأفيونات خلال فترة الحمل وأن يناقشوا هذه المخاطر مع أطبائهم. بالنسبة للجمهور، تسلط الدراسة الضوء على الحاجة إلى مزيد من البحث حول آثار الأفيونات على نمو الدماغ الجنيني. كما أنها تؤكد على أهمية الكشف المبكر عن اضطرابات النمو العصبي لدى الأطفال الذين تعرضوا للأفيونات خلال فترة الحمل.

الاعتبارات العربية

عند النظر في هذه النتائج في سياق العالم العربي، يجب أن نأخذ في الاعتبار بعض الفروق الثقافية والاجتماعية. في العديد من المجتمعات العربية، قد يكون هناك وصمة عار مرتبطة بالصحة النفسية، مما قد يمنع النساء الحوامل من طلب المساعدة في حالات الاكتئاب أو القلق أو الألم المزمن. بالإضافة إلى ذلك، قد يكون هناك نقص في الوصول إلى الرعاية الصحية الجيدة، مما يجعل من الصعب على النساء الحوامل الحصول على بدائل لتسكين الألم. كما أن معدلات استخدام الأفيونات قد تختلف بين البلدان العربية، اعتمادًا على السياسات الصحية واللوائح التنظيمية. من المهم إجراء المزيد من البحوث لتقييم مدى تأثير التعرض للأفيونات على نمو الدماغ الجنيني في المجتمعات العربية، مع الأخذ في الاعتبار العوامل الثقافية والاجتماعية المحلية. قد يكون من الضروري تطوير برامج توعية خاصة تستهدف النساء الحوامل في العالم العربي، بهدف تثقيفهن حول مخاطر الأفيونات وتشجيعهن على طلب المساعدة إذا كن يعانين من الألم أو المشاكل النفسية.

آفاق مستقبلية وقيود

على الرغم من أن هذه الدراسة تقدم أدلة قوية على وجود صلة بين التعرض للأفيونات واضطرابات النمو العصبي، إلا أنها لا تخلو من القيود. أولاً، الدراسة تعتمد على بيانات الملاحظة، مما يعني أنه لا يمكننا إثبات علاقة سببية بشكل قاطع. ثانيًا، الدراسة أجريت في كوريا الجنوبية، وقد لا تكون النتائج قابلة للتعميم على جميع السكان. ثالثًا، الدراسة لم تأخذ في الاعتبار جميع العوامل التي قد تؤثر على نمو الدماغ الجنيني، مثل التغذية والتعرض للسموم البيئية. في المستقبل، هناك حاجة إلى مزيد من البحوث لتأكيد هذه النتائج وتقييم الآثار طويلة الأمد للتعرض للأفيونات على نمو الدماغ الجنيني. كما أن هناك حاجة إلى دراسات تدرس الآليات العصبية التي تربط بين التعرض للأفيونات واضطرابات النمو العصبي. بالإضافة إلى ذلك، يجب إجراء دراسات في مختلف البلدان والثقافات لتقييم مدى قابلية تعميم هذه النتائج.

ARABPSYCHOLOGY.COM

Recommended Academic Training

:Deepen your knowledge with these specialized courses from our Academy

أخلاقيات مهنة التعليمView Course← اصول التربية والتعليمView Course← التربية البيئية والتنمية المستدامةView Course←

Reference

Choi H.R. (2026). *Association between prenatal opioid exposure and long-term neurodevelopmental disorders among children: a nationwide* cohort study*: Prenatal opioid exposure and neurodevelopment*. BMC Pediatrics, 26(1).

DOI: 10.1186/s12887-026-06714-9

ARABPSYCHOLOGY.COM